مجلة مداد الآداب

الجامعة العراقية
كلية الآداب
قسم التاريخ
1425هـ 2005م
Department of History

واقع المسيحيين في بلاد الشام اثناء الغزو الصليبي (٤٩٠هـ -٦٩٠هـ)

أ. د، حاتم فزع شنيتر

الجامعة العراقية– كلية الآداب

المقدمة

لا شك ان في بلاد الشام كانت الديانة الغالبة فيها قبل ظهور الاسلام هي الديانة المسيحية ومع ظهور الاسلام دخل الناس في بلاد الشام افواجا حتى اصبحت الديانة الاسلامية هي الغالبة واصحاب الديانات الاخرى اقلية، وفي ظل الاسلام كان المسلمون والمسيحيون حالة واحدة ما عدا الشاذ من المواقف القليلة وانهم فرعين لحضارة شرقية واحدة نتيجة للتسامح الاسلامي مع الديانات الاخرى وهذا يذكرنا بموقف عمر بن الخطاب رضي عنه حيث سلك سلوكا انسانيا نابعا من عقيدته الاسلامية من احترام اهل الاديان الاخرى عندما تسلم مفاتيح بيت المقدس سنة ١٥ هـ وعامل النصارى فيها معاملة حسنة وترك كنيسة القيامة بأيدي النصارى وقد نقل الينا ابن الجوزي عن كتاب الصلح (اني قد امنتكم على دمائكم واموالكم وذراريكم وصلاتكم وبيعكم ولا تكلفوا فوق طاقتكم)[١]، وقد سلك صلاح الدين الايوبي نفس المسلك الذي سلكه عمر بن الخطاب عندما حرر بيت المقدس من الصليبيين سنة ٥٨٣هـ وقال نحن متبعين لا مبتدعين [٢]، بينما سلك الصليبيون عند احتلالهم بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ سلوكا بعيدا عن اخلاق دين النصارى وقتلوا بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين الفا من المسلمين، وهذه مواقف لها اهمية في واقع المسيحيين في بلاد الشام اثناء الغزو الصليبي للتفريق بين اخلاق المسلمين واخلاق الصليبيين وانعكاس ذلك على المسيحيين من اهل الديار في بلاد الشام وكان هذا سببا في اختاري لبحثي الموسوم واقع المسيحيين في بلاد الشام اثناء الغزو الصليبي وقد قسمت البحث الى ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الاول علاقة الصليبيين بالمسيحيين اثناء الغزو الصليبي وتناولت في المبحث الثاني علاقة المسلمين بالمسيحيين من اهل الديار وتناولت في المبحث الثالث علاقة الصليبيين بالمسلمين وقد اعتمدت على بعض المصادر منها الكامل في التاريخ لابن الاثير وكتاب الفضائل لابن الجوزي وكتاب النوادر السلطانية لابن شداد كما اعتمدت كثيرا على المراجع المسيحية منها تاريخ الاعمال المنجزة لوليم الصوري وكتاب الصليبيون في الشرق لميخائيل زابوروف وكتاب ماهية الحروب الصليبية لقاسم عبدة قاسم وكتاب الحركة الصليبية لسعيد عاشور وغيرها، وقد حصلت من دراستي نتائج عدة منها ان المسيحيين المحليين في بداية الغزو الصليبي مالوا الى الصليبيين الا ان معاملة الصليبيين لهم

جعلهم ينفرون منهم ومنها ان الصليبيين حاولوا استمالة المسيحيين المحليين في بلاد الشام الا انهم لم يفلحوا لان عقديتهم تختلف عن عقيدة كنيسة روما الصليبية ويعدونهم مرتدين ....

وأسأل الله تعالى قد وفقت في بحثي هذا وانفع به اهل العلم.

المبحث الاول

علاقة المسيحيين العرب بالصليبيين في بلاد الشام في الحملة الصليبية الاولى

مصطلح الصليبية يحمل تناقضا بين دلالته الدينية وحقيقته التاريخية التي يشوب وقائعها الوحشية والقسوة والتعصب الديني وهذا كله يتناقض مع الصليب رمز الفداء والتضحية بالنفس في سبيل الاخرين ولم يكن الصليب ابدا رمزا للحرب والقتل والعدوان وقد ارتبط اسم هذا الغزو بالصليب بعد قرن ونصف القرن من احداثه وكانوا يستخدمون مصطلح الحرب المقدسة، وعند المؤرخين المسلمين الذين عاصروا الاحداث مثل ابن القلانسي وأبن الاثير وابن واصل وابن العديم وغيرهم استخدموا عبارات الافرنج وهذا يدل دلالة واضحة على ان الاحداث على غير نهج الصليب(٣).

ومما يدلل على ان الصليبيين على غير نهج السيد المسيح عليه السلام هو علاقاتهم مع نصارى اوروبا ونصارى بيزنطة فعندما سارت الحملة الصليبية الاولى مخترقة اوروبا الوسطى تنهب وتسلب المدن التي مرت بها وعندما وصل الصليبيون الى القسطنطينية في حملة الامراء الصليبية الاولى خاف الامبراطور البيزنطي على احتلالهم للقسطنطينية نتيجة للاحقاد المذهبية التي يحملها نصارى غرب اوروبا ضد نصارى الشرق ولعاصمتهم القسطنطينية بإعتبار كنيستها منشقة عن كنيسة روما وحاصرهم على ان يتعهدوا للأمبراطور بعدم المساس بأملاك الامبراطورية مقابل ذلك ساعدهم على العبور الى اسيا الصغرى حيث سلاجقة الروم(٤).

وعندما وصلت الحملة الصليبية الاولى الى القسطنطينية عاصمة البيزنطيين سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م بقيادة الراهب بطرس الناسك عاثت بها فسادا ونهبوا وأحرقوا وارتكبوا ابشع المذابح بحق السكان المسيحيين مما اضطر الامبراطور البيزنطي ان ينقلهم بسرعة الى اسيا الصغرى (٥).

وقد عاود الصليبيون مجازرهم بحق مسيحيي القسطنطينة بعد استرداد بيت المقدس من قبل المسلمين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م جاءت الحملة الصليبية الرابعة التي كان هدفها الاساسي مصر وهي الحملة التي كانت في سنة ٦٠٠هـ فقد انحرفت الحملة الصليبية الرابعة الى القسطنطينية وكانت اشد غضبا وانتقاما من الاولى على مسيحيي بيزنطة المختلفين معهم في المذهب لذا حينما دخلوا القسطنطينية وهرب الامبراطور وعملوا المذابح في الروم ودخلوا كنيسة آيا صوفيا وقتلوا الاساقفة والرهبان وبأيديهم الانجيل والصليب ونهبوا الكنيسة لتعكس اخلاق الصليبيين الذي كان يفور بمشاعر البغض والعداء ايا كان حتى ولو كان مسيحيا مخالفا لمذهبه، نزل الصليبيون وقد نسوا انهم فتحوا بلدا مسيحيا يحمل لواء المسيحية في الشرق طوال قرون عدة وتم اقتحام المدينة يقتلون الرجال والنساء والاطفال وتعرضت للنهب والمذابح ووضعوا السيف في القسطنطينية على مدى ثلاثة ايام [٦] .

يتضح لنا ان الغزو الصليبي يمثل انعكاسا لأخلاق الصليبين من الوحشية والبربرية بعيدا عن اخلاق سيدنا المسيح عليه السلام حتى ولو على ابناء دينهم مما يوحي الى احوال اوربا السيئة .

اما موقف المسيحيين الارمن عند عبور القوات الصليبية الى اسيا الصغرى اندفعوا مع الصليبيين ووالوهم وقدموا لهم مساعدات كبرى حيث فتحوا لهم ابواب المدن واصبحوا لهم اعوانا حيث تعاون حاكم الرها الارمني ثوروس مع الصليبيين وفتح لهم ابواب الرها التي كانت اغلبية سكانها من الارمن الا انه راح ضحية مؤامرة غدر به الصليبيون واسسوا اول امارة صليبية في الشرق العربي [٧]، وعندما واصلت القوات الصليبية زحفها الى مدينة انطاكيا وحصاروها سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م وحاول المسلمون فك حصارها دون نتيجة وأستمر الصليبيون في محاصرتهم لإنطاكيا بدون ان يتمكنوا من دخولها الى ان وقعت الخيانة من احد حراس ابراج انطاكية وهو فيروز الارمني حيث واطأ الصليبيين وساعدهم في دخول انطاكيا من شباك في اسوارها حيث كان حارسا لأحد الابراج فتفاوض سريا مع الصليبيين وسلم اليهم البرج وقتلوا فيها خلقا كثيرا وكانت هذه الخيانة هي السبب في نجاح الصليبيين[٨].

واصل الصليبيون زحفهم الى بيت المقدس بدون اية مقاومة لان الامراء الذين على الطريق في غاية الضعف بحيث قدموا المساعدات للصليبيين تحاشيا للهجوم عليهم وعندما

وصلوا الى القدس فرضوا الحصار عليها وتمكنوا من اقتحام المدينة ولبثوا يقتلون بالمسلمين اسبوعا قتلوا فيه اكثر ما يزيد عل سبعين الفا وسفكوا بلا رحمة دماء المسلمين بعيدا عن اخلاق دين النصارى وهذا الموقف يذكرنا بسياسة التسامح والرحمة التي اتبعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استلم مفاتيح بيت المقدس من النصارى ١٥هـ من احترام اهل الاديان الاخرى وعامل النصارى فيها معاملة حسنة وأمنهم على دمائهم واموالهم وذراريهم وصلاتهم وبيعهم ولا يكلفون فوق طاقتهم وترك كنيسة القيامة بأيدي النصارى وهي نفس السياسة التي اتبعها صلاح الدين عندما حرر بيت المقدس من الصليبيين سنة٥٨٣هـ وقال نحن متبعين لا مبتدعين [٩].

على الرغم من ان الصليبيين قد عاملوا المسيحيين في بلاد الشام معاملة قاسية وحولوا كنائسهم الى كنائس لاتينية ومنعوا الاقباط من زيارة بيت المقدس الا ان العلاقات توترت بين المسلمين والمسيحيين بسبب مساعدة المسيحيين الارمن والموارنة للصليبيين.

المبحث الثاني

واقع المسيحيين في بلاد الشام مع المسلمين

المسيحية تواجدت في بلاد الشام منذ نشأتها وكانت الديانة الرئيسة فيها حتى الفتوحات الاسلامية، وفي ظل الاسلام كان المسيحيون والمسلمون حالة واحدة ما عدا الشاذ من المواقف القليلة وانهم فرعين لحضارة شرقية واحدة [١٠].

كانت تعيش في بلاد الشام الغالبية من المسلمين واجناس مختلفة من حيث الانتماء العرقي والديني فقد عاش فيها العرب والاكراد والاتراك والمسيحيون والزنوج وغيرهم[١١]، وكان المسيحيون الارثدوكس في بلاد الشام يتوزعون على طوائف عدة ابرزها الملكانيون والسريان والارمن وكذلك وجود بعض الصليبيين من الكاثوليك في المدن الساحلية يزاولون التجارة[١٢]، لأن البابا حرم الاقامة بين المسلمين وأوقع اشد العقوبات على من يخالف ذلك كاللعن والطرد من الكنيسة [١٣].

جاءت الحملات الصليبية الى الشرق ما بين ٤٩٢هـ/١٠٩٦م-٦٩٠هـ/١٢٩١م بهدف تحرير القدس موضع تقديس المسيحيين في بلاد الشام ومع مجيئها انتهت سلطة بيزنطة وحلت

قوة روما البابوية وسعى الصليبيون بعد تأسيس اماراتهم في بلاد الشام وهي امارة الرها وأمارة انطاكية وأمارة طرابلس ومملكة بيت المقدس ان يستميلوا المسيحيين بعد ان استولوا على القدس وأبادوا سكانها فقد حاول بلدوين ملك مملكة بيت المقدس نقل سكان القرى المسيحية الى القدس لسد الفراغ السكاني وكل ما حدث في القدس حدث في سائر المدن التي استولى عليها الصليبيون(١٤).

ومهما يكن فان المسيحيين لم تنجح استمالتهم كليا من قبل الصليبيين لوجود كثير من الدلائل اهمها وجود كراهية متبادلة بين الجانبين وانتماء كنيسي مختلف عنهم وكذلك التسامح الديني لدى المسلمين جعلهم يبتعدون عن الصليبيين لا سيما حرية ممارسة طقوسهم الدينية ولم يتعرضوا الى اي اضطهاد وهذا انعكس على تصرفاتهم عند تحرير صلاح الدين لمدينة بيت المقدس ٥٨٣هـ فقد هللت المذاهب الشرقية المسيحية لأنهم لمسوا بشكل مباشر التسامح الديني لدى المسلمين وهذا لم ينعكس على العامة فقط من المسيحيين بل انعكس على العداء بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية ولذلك سعى الامبراطور البيزنطي اندرو نيكوس كومنين الى اقامة تحالف مع المسلمين ضد الصليبيين (١٥).

فالتسامح الذي كان يعاملهم به المسلمون كان دافعا قويا للمسيحيين العرب كي يبعدهم عن الصليبيين الذين يتبعون كنيسة روما التي لها طقوس مختلفة ويذكر انه عندما حرر صلاح الدين الايوبي القدس عرض المسيحيون على السلطان صلاح الدين الايوبي المساعدة من الداخل وتلقى السلطان صلاح الدين الايوبي تهاني حامي الكنيسة الارثودكسية الامبراطور البيزنطي اسحاق انجيلوس على استرداده للمدينة المقدسة (١٦).

على الرغم من روابط العقيدة بين المسيحيين المحليين والصليبيين الا ان المسيحيين المحليين فضلوا روابط التاريخ واللغة والعيش المشترك مع المسلمين وفي نفس الوقت فالمسيحيون المحليون لم يقاتلوا الصليبيين الا انهم لم يثيروا القلائل مع المسلمين ولم يقاتلوهم الا في بعض الحالات الشاذة وقد يقتصر على ما قام به الموارنة وحوادث فردية كالتي ذكرها ابوشامة بعد هزيمة لويس التاسع ملك فرنسا وأسره في مدينة دمياط المصرية سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م وارسل الملك المعظم توران شاه السلطان الايوبي ملابس لويس التاسع الملك الفرنسي الاسير الى دمشق(١٧)، فأن المسيحيين الموارنة في بعلبك حزنوا على ذلك وسودوا

كنيستهم حزنا على هزيمة الصليبيين لأن الموارنة كانت لهم صلات وثيقة مع الملك لويس التاسع ملك فرنسا(١٨).

ومن الجدير بالذكر ان المسيحيين الموارنة قد اعلنوا ولاءهم للصليبيين وشاركوهم في معاركهم وقدموا فوائد عظيمة للصليبيين في معاركهم ضد المسلمين وقد شاركوا ملك فرنسا لويس التاسع في حملته على مصر، مقابل ذلك منحوهم جميع الحقوق التي يتمتع بها ابناء كنيسة روما وقد شاركوا ملك فرنسا لويس التاسع في حملته على مصر(١٩).

كان دور المسيحيين المحليين هامشيا ضعيفا مع الصليبيين وذلك لعدة اسباب منها:

- لم يتمكن الصليبيون من احتواء نصارى المنطقة من عرب وسريان وارمن وغيرهم لانهم يعدون انفسهم رعايا المسيح ويعدون الامم الاخرى ابناء الضلال (٢٠).
- لأنهم نظروا اليهم على انهم مسيحيون مستعربون.
- ينظرون اليهم نظرة دونية ولم يعدوهم بأفضل من المسلمين فأذا قدروا على قتلهم كان به والا فسلب كنائسهم واراضيهم لا بأس به.
- انهم غير محبين للقتال وقد وصف وليم الصوري السريان بقوله (هو شعب نعتبره ضعيفا ومخنثا)(٢١).

رغم ارتباط مسيحيي العرب بالمسلمين الا ان افرادا من المسيحيين المحليين ايدوا الصليبيين بدوافع مالية او عرقية او طائفية كما يوجد متطوعة من المسيحيين المحليين والمسلمين لأن غالبية السكان في الامارات الصليبية كانوا عربا مسيحيين ومسلمين يقومون بالاعمال اليومية كالزراعة وغيرها لأن الصليبيين مشغولون بالحروب والشعائر الدينية ولذلك أقاموا علاقات حسنة مع المسلمين من اجل تنشيط الحركة الاقتصادية في اماراتهم(٢٢).

وبشكل عام فأن المسيحيين المحليين في بلاد الشام كانوا يشغلون مناصب الكتبة في مصر والشام اثناء الغزو الصليبي ونذكر منهم كاتب ديوان جيوش السلطان الملك العادل ابي بكر الايوبي الشيخ ابو الفتوح ابن المقياط وكان مع جماعة من المسيحيين مرافقا للسلطان العادل في حروبه ويسمح لهم بإقامة شعائرهم الدينية (٢٣).

ومن الجدير بالذكر ان المسيحيين العرب دفعوا ثمن الحرب بين الصليبيين والمسلمين ففي عهد عماد الدين زنكي عندما حرر امارة الرها الصليبية ٥٣٩هـ/١١٤٤م وكان اكثرها

من المسيحيين اليعاقبة والارمن استعدى على الصليبيين وتشدد عليهم وتساهل مع المسيحيين العرب فقد عاملهم معاملة حسنة وزار كنائسهم وكانت له علاقة قوية مع مطرانها متي الرهاوي(٢٤).

لم تقتصر مقاومة الغزو الصليبي على العامة من الصليبيين حتى ان رجال الدين من نصارى العرب يحرصون كل الحرص على مقاومة الغزو الصليبي فعندما وقع الخلاف بين الملك المعظم عيسى صاحب الكرك واخيه الملك الكامل صاحب مصر واستنجد الاخير بالامبراطور الالماني فردريك الثاني ضد اخيه الملك المعظم عيسى مقابل تنازله عن بيت المقدس للامبراطور الالماني، اراد الملك المعظم عيسى ان يعرف اخبار الامبراطور الالماني فردريك المتواجد في صقلية حتى يعرف تحركه فأرسل احد رجال الدين النصارى وهو راهب يقيم في بعض جبال الشوبك الى صقلية ليعرف حقيقة التحالف بين الملك الكامل والامبراطور الالماني ويرسل اليه اخباره وقد قام الراهب بالمهمة خير قيام وقد تظاهر الملك المعظم عيسى بنفيه الى صقليه لكي يبعد الشكوك عنه وعندما انتهت مهمة الراهب وعاد الى دمشق اكرمه الملك المعظم عيسى خير اكرام واقطعه ارضا في الشوبك وبذلك تجلت صورة من صور التلاحم بين المسلمين والمسيحيين في مقاومة الغزو الصليبي على بلادهم (٢٥).

ويبدو لنا مما تقدم ان المسيحيين الذين عاشوا في المناطق الصليبية فقد اساء الصليبيون معاملتهم الذين اعتبروهم منشقين وخارجين على الدين المسيحي وفي نفس الوقت فأن الصليبيين لم يقيموا علاقات ودية مع المسيحيين المحليين بأستثناء الموارنة في لبنان لذلك آثروا حكم المسلمين على حكم الصليبيين وتحسن نظرة كثير من النصارى من اهالي البلاد للإسلام(٢٦)، وما يؤيد ذلك ان اهالي فلسطين من النصارى رحبوا بحكم المسلمين عندما وقع بيت المقدس في ايدي المسلمين سنة ٦٤٢ هـ /١٢٤٤م كما ان كثير من اهالي نصارى اسيا الصغرى فضلوا حكم السلاجقة المسلمين على حكم النصارى من البيزنطيين (٢٧).

ومن مظاهر سياسة التسامح التي قام بها صلاح الدين الايوبي بعد تحرير بيت المقدس من الصليبيين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م هو تعيين اثنين من رجال الدين الكاثوليك في كل من الكنائس كنيسة القيامة وكنيسة بيت لحم وكنيسة الناصرة الى جانب ما كان في تلك الكنائس من رجال الدين الارثودكس والسريان واليعاقبة (٢٨).

من المعلوم ولا اشكال في ذلك ان الديانة الغالبة في بلاد الشام قبل ظهور الاسلام هي النصرانية ومع انتشار الاسلام دخل الناس افواجا حتى اصبح دين الاسلام دين الغالبية واصحاب الديانات الاخرى اقلية بالنسبة اليهم، وفي عصر الحروب الصليبية كانت هناك تحولات كبيرة من هذه الاقلية بإعتناقها الاسلام حيث تدل على ذلك اشارات متناثرة في المصادر والمراجع المختلفة ومن ذلك طلب النصارى من اهل مدينة القدس من السلطان صلاح الدين السماح لهم بالبقاء في المدينة مقابل اعطاء الجزية للسلطان وعندما حصلوا على موافقة السلطان صلاح الدين على طلبهم قاموا بشراء اموال الصليبيين الخارجين من بيت المقدس بعد تحريرها سنة ٥٨٣هـ [٢٩]، ومن ذلك ايضا قول سبط ابن الجوزي (سمعت جدي على المنبر يقول: بأصبعي هاتين كتبت الفي مجلدة وتاب على يدي مائة الف واسلم على يدي عشرون الفا [٣٠].

المبحث الثالث

تبدل نظرة الصليبيين عن المسلمين

اما من ناحية النصارى الصليبين فقد طالت اقامة الصليبيين في بلاد الشام وبلغت ٢٠٠ سنة فأختلط هؤلاء بالسكان الاصليين ونشأ جيل في بلاد الشام متأثرا بالحضارة العربية الاسلامية فتحدثوا اللغة العربية وارتدوا الالبسة العربية وتأثروا بالعادات والتقاليد العربية وأصبح هؤلاء بعد اجيال جزءا من سكان بلاد الشام وخفت لديهم روح التعصب التي كانت لدى الاجداد الذين قدموا الى بلاد الشام وتعايشوا مع السكان الاصليين لبلاد الشام وتزاوج الطرفان النصرانيان ولم يعرفوا غير بلاد الشام وطنا لهم فأحتضنهم المجتمع الشامي وأستوعبهم وأصبحوا جزءا منه وجنحوا الى سياسة الاعتدال والتسامح وقوبلت هذه السياسة بالمثل من الجانب الاسلامي وكثيرا ما جنح القادة المسلمون الى المهادنة من الايوبيين والمماليك وعقدوا المعاهدات والاتفاقيات مع الصليبين[٣١]. وهذا ما ذكره ابن جبير عن الاعتدال والاتفاق بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام في العصر الايوبي (والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الاحوال، وأهل الحرب مشغولون بحربهم والناس في عافية والدنيا لمن غلب)[٣٢]

ويمكن القول ان النصارى الصليبيين المتأخرين فقد تغيرت نظرتهم للإسلام والمسلمين نتيجة التسامح الذي ابداه المسلمين نحوهم وتأثرهم بالاسلام وتبدل النظرة لدى متأخري الصليبيين عن سابقيهم ومن مظاهر تغير النظرة الحاقدة اتجاه المسلمين وجود نوع من العلاقات

بين المسلمين والصليبيين ومن ذلك ان اصدقاء اسامة بن منقذ مكنوه من الصلاة في المسجد الاقصى حينما كان تحت سيطرة الصليبيين[٣٣]، ومن مشاهدات ابن جبير الذي زار المنطقة في هذه الفترة انه رأى جمعا من المسلمين يحضرون عرسا صليبيا وكان اختلاط ومعاملة التجار المسلمين والصليبيين فيما بينهم التي ازالت العداء الشديد الذي كان يحمله الصليبيين في بداية قدومهم فالأمن لا يفارقهم سلما وحربا [٣٤]، كما انه حتى في المواجهة الحربية لطول المخالطة بين الفريقين تجري في بعض الاحيان مسابقات على سبيل الترفيه بين الطرفين [٣٥].

ومن اشارات تبدل نظرة الصليبيين للمسلمين الذين تحت حكمهم هو السماح لهم من ممارسة شعائرهم الدينية كما في مدينة عكا وانطاكية وجبلة وطرابلس وغيرها وكان اسلافهم في الحملة الصليبية الاولى احرقوا مسجدا في القسطنطينية بما فيه حينما رأوه لأول مرة [٣٦].

من المعلوم ان الشخص لا يتأثر بشئ ويقلده الامن باب الاعجاب والاقتناع به فتشبه بعض النصارى في بعض الصفات للمسلمين وتأثروا بها دليل على الرضا وأعترافا بقيمة الدين الذي جاء بها مما أدى الى دخول اعداد كبيرة من النصارى في الاسلام ومنهم كاتب الانشاء للملك العادل الذي اسلم على يديه [٣٧].

وقد تبدلت اشارات الاعجاب الى اسلام كثير من العامة النصارى الصليبيين وذلك لحسن معاملة صلاح الدين للنصارى الصليبيين دافعا لإعداد كبيرة منهم الى اعتناق الاسلام وخاصة بعد معركة حطين[٣٨]، وقد قال احد الكتاب الغربيين عن ذلك (...حتى ان نفرا من الفرسان المسيحيين بلغ من قوة انجذابهم اليه ان هجروا ديانتهم المسيحية...)[٣٩].

الخاتمة

بعد دراستي للبحث الموسوم (واقع المسيحيين في بلاد الشام اثناء الغزو الصليبي) توصلت الى النتائج الاتية:

١- المسيحية تواجدت في بلاد الشام منذ نشأتها وكانت الديانة الرئيسة فيها حتى الفتوحات الاسلامية، وفي ظل الاسلام كان المسيحيون والمسلمون حالة واحدة ما عدا الشاذ من المواقف القليلة وانهم فرعين لحضارة شرقية واحدة وخير دليل على ذلك سياسة التسامح والرحمة التي اتبعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استلم مفاتيح بيت المقدس من النصارى سنة ١٥هـ من احترام اهل الاديان الاخرى وعامل النصارى فيها معاملة حسنة وأمنهم على دمائهم واموالهم وذراريهم وصلاتهم وبيعهم ولا يكلفون فوق طاقتهم وترك كنيسة القيامة بأيدي النصارى وهي نفس السياسة التي اتبعها صلاح الدين عندما حرر بيت المقدس من الصليبيين سنة٥٨٣هـ وقال نحن متبعين لا مبتدعين رغم المجازر التي ارتكبوها عند احتلالهم لبيت المقدس سنة ٤٩٢هـ.

٢- مصطلح الصليبية يحمل تناقضا بين دلالته الدينية وحقيقته التاريخية التي يشوب وقائعها الوحشية والقسوة والتعصب الديني وهذا كله يتناقض مع الصليب رمز الفداء والتضحية بالنفس في سبيل الاخرين ولم يكن الصليب ابدا رمزا للحرب والقتل والعدوان وهذا يدل دلالة واضحة على ان الاحداث على غير نهج الصليب وقد ارتبط اسم هذا الغزو بالصليب بعد قرن ونصف القرن من احداثه وكانوا يستخدمون مصطلح الحرب المقدسة

٣- موقف المسيحيين المحليين بصورة عامة رغم ارتباط مسيحيي العرب بالمسلمين الا ان افرادا من المسيحيين المحليين ايدوا الصليبيين بدوافع مالية او عرقية او طائفية لا سيما المسيحيين الارمن عند عبور القوات الصليبية الى اسيا الصغرى في الحملة الصليبية الاولى اندفعوا معهم ووالوهم وقدموا لهم مساعدات كبرى حيث فتحوا لهم ابواب المدن واصبحوا لهم اعوانا وكذلك الموارنة قد اعلنوا ولاءهم للصليبيين وشاركوهم في معاركهم ضد المسلمين الا ان النظرة تبدلت عند المسيحيين العرب بعد ذلك .

٤- كان دور المسيحيين المحليين هامشيا ضعيفا مع الصليبين لأن الصليبيين ينظرون اليهم نظرة دونية ولم يعدوهم بأفضل من المسلمين فاذا قدروا على قتلهم كان به والا فسلب

كنائسهم واراضيهم لا بأس به وانهم غير محبين للقتال وقد وصف وليم الصوري السريان بقوله (هو شعب نعتبره ضعيفا ومخنثا).

٥- ان المسيحيين العرب لم تنجح استمالتهم كليا من قبل الصليبيين لوجود كثير من الدلائل اهمها وجود كراهية متبادلة بين الجانبين وانتماء كنيسي مختلف عنهم وكذلك التسامح الديني لدى المسلمين جعلهم يبتعدون عن الصليبيين لا سيما حرية ممارسة طقوسهم الدينية ولم يتعرضوا الى اي اضطهاد من المسلمين.

٦- على الرغم من روابط العقيدة بين المسيحيين المحليين والصليبيين الا ان المسيحيين المحليين فضلوا روابط التاريخ واللغة والعيش المشترك مع المسلمين وفي نفس الوقت فالمسيحيون المحليون لم يقاتلوا الصليبيين الا انهم لم يثيروا القلائل مع المسلمين ولم يقاتلوهم.

٧- ان المسيحيين الذين عاشوا في المناطق الصليبية فقد اساء الصليبيون معاملتهم الذين اعتبروهم منشقين وخارجين على الدين المسيحي وفي نفس الوقت فأن الصليبيين لم يقيموا علاقات ودية مع المسيحيين المحليين بأستثناء الموارنة في لبنان لذلك آثروا حكم المسلمين على حكم الصليبيين وتحسنت نظرة كثير من النصارى للإسلام .

٨- من المعلوم ولا اشكال في ذلك ان الديانة الغالبة في بلاد الشام قبل ظهور الاسلام هي النصرانية ومع انتشار الاسلام دخل الناس افواجا فيه ومنهم المسيحيون حتى اصبح دين الاسلام دين الغالبية واصحاب الديانات الاخرى اقلية بالنسبة اليهم، وفي عصر الحروب الصليبية كانت هناك تحولات كبيرة من هذه الاقلية بإعتناقها الاسلام حيث تدل على ذلك اشارات متناثرة في المصادر والمراجع المختلفة.

٩- اما من ناحية النصارى الصليبين المتأخرين فقد طالت اقامة الصليبيين في بلاد الشام وبلغت ٢٠٠ سنة فأختلط هؤلاء بالسكان الاصليين ونشأ جيل في بلاد الشام متأثرا بالحضارة العربية الاسلامية فتحدثوا اللغة العربية وارتدوا الالبسة العربية وتأثروا بالعادات والتقاليد العربية وأصبح هؤلاء بعد اجيال جزءا من سكان بلاد الشام وخفت لديهم روح التعصب التي كانت لدى الاجداد الذين قدموا الى بلاد الشام وتعايشوا مع السكان الاصليين لبلاد الشام ولم يعرفوا غير بلاد الشام وطنا لهم فأحتضنهم المجتمع الشامي وأستوعبهم

وأصبحوا جزءا منه وتغيرت نظرتهم للإسلام والمسلمين نتيجة التسامح الذي ابداه المسلمين نحوهم وتأثرهم بالاسلام وتبدل النظرة لدى متأخري الصليبيين عن سابقيهم .

١٠- ان المسيحيين الذين عاشوا في المناطق الصليبية قد اساء الصليبيون معاملتهم الذين اعتبروهم منشقين وخارجين على الدين المسيحي وفي نفس الوقت فأن الصليبيين لم يقيموا علاقات ودية مع المسيحيين المحليين بأستثناء الموارنة في لبنان لذلك آثروا حكم المسلمين على حكم الصليبيين وتحسنت نظرة كثير من النصارى من اهالي البلاد للإسلام .

١١- من المعلوم ان الشخص لا يتأثر بشئ ويقلده الامن باب الاعجاب والاقتناع به فتشبه بعض النصارى في بعض الصفات للمسلمين وتأثروا بها دليل على الرضا وأعترافا بقيمة الدين الذي جاء بها مما أدى الى دخول اعداد كبيرة من النصارى في الاسلام ومنهم كاتب الانشاء للملك العادل الذي اسلم على يديه.

هوامش البحث ومصادره:

(١) ابن الجوزي، فضائل القدس، تحقيق: دكتور جبرائيل سليمان جبور، دار الافاق الحديثة، بيروت بلات، ص١٢٣.

(٢) الدواداري، ابو بكر عبد الله بن ايبك، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م، جـ٧، ص ٩٠.

(٣) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م، ص٥؛ قاسم عبدة قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت١٩٩٠م، ص١١.

(٤) المطوي، محمد العمروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٥٤م، ص٣١.

(٥) وليم الصوري، تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحار، الموسوعة الشاملة، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٤م، ص١٠٥.

(٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٢٦٣-٢٦٦؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص١٦٣، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص ١٨٧.

(٧) وليم الصوري، تاريخ الاعمال المنجزة، ص ١٨٩.

(٨) ابن تغري بردي، ابو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ) الاخبار الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية، مصر، بلا تاريخ، جـ٥، ص١٤٦.

(٩) ابن الجوزي، فضائل القدس، تحقيق: دكتور جبرائيل سليمان جبور، دار الافاق الحديثة، بيروت بلات، ص١٢٣؛ العليمي، الانس الجليل، جـ١، ص٣٧٨؛ ابن الاثير الكامل في التاريخ، جـ١٢، ص٣٢٧.

(١٠) كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، تعريب احمد الشيخ، سينا للنشر، بلات، ص٢٥

(١١) شاكر مصطفى، ١٩٩٨م، ص١١٦؛ احمد علي اسماعيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ١٩٨٣م ص٨٤.

(١٢) الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص١٥٩.

(١٣) فابري، جولات ورحلات، ص١١٤٢.

(١٤) ر سي سميل، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر، ص٩١؛وليم الصوري، تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحار، ص٥٢.

(١٥) ارنست باركر، الحروب الصليبية، ١٩٦٧م، ص٨٤.

(١٦) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة دكتور الباز العريني، ١٩٥٤م، ص٤٦٥.

(١٧) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٣٦٥.

(١٨) النويري، نهاية الارب، ص ٣٢٩-٣٥٩؛ ابن كثير البداية والنهاية، جـ١٣، ص١٧٨.

(١٩) وليم الصوري، تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحار، ص٤٤٤؛ فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت، دار الثقافة، بلات، ص٢٦٢.

(٢٠) سهيل زكار، الحروب الصليبية، ص٤٠١.

(٢١) سهيل زكار، الحروب الصليبية، ص٤٤٤.

(٢٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٥٨.

(٢٣) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص٦.

(٢٤) ر سي سميل، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر، ترجمة محمد وليد ، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٥م، ص٩٤.

(٢٥) سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف (ت٦٥٤هـ)، مرآة الزمان، جـ٨، ص٤٢٦.

(٢٦) عبد الرحمن الانباري، الدعوة الى الاسلام، دار البشائر، بيروت، ١٤٠٩هـ، ص١٦

(٢٧) د سليمان الرومي، دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية، مكتبة الرشد، بيروت، ٢٠٠٧ م، جـ٢، ص ٧٥٤

(٢٨) ابو شامة، الروضتين، جـ٢، ص ٢٩٣؛ غوانمة، التاريخ السياسي لشرق الاردن في عصر دولة المماليك الاولى ص٤٣.

(٢٩) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، جـ١١، ص٥٥٢.

(٣٠) الذهبي، سير اعلام النبلاء، جـ٢١، ص٢٧٠.

(٣١) يوسف غوانمة، التاريخ السياسي لشرق الاردن في عصر الدولة المملوكية الاولى، ص٥٣.

(٣٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٣٥.

(٣٣) ابن منقذ، اسامة، الاعتبار، ص١٣٤

(٣٤) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٥٩

(٣٥) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٦٩

(٣٦) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، جـ٤، ص٥٠

(٣٧) ابو شامة، كتاب الروضتين، جـ٢، ص٥٢.

(٣٨) الحنبلي، شفاء القلوب، ص١٢١

(٣٩) د. سليمان، دعوة المسلمين للنصارى، جـ٢، ص٧٤٧.

المصادر والمراجع

١. ابن الاثير، علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ.

٢. الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ)، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م.

٣. ابن تغري بردي، ابو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ) الاخبار الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية، مصر، بلا تاريخ

٤. ابن جبير، ابو الحسين محمد بن احمد الاندلسي (ت٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير،دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، بلات.

٥. ابن الجوزي، فضائل القدس، تحقيق: دكتور جبرائيل سليمان جبور، دار الافاق الحديثة، بيروت بلات

٦. الحنبلي، احمد بن ابراهيم (ت٨٧٦هـ)، شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق ناظم رشيد، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٨م.

٧. الدواداري، ابو بكر عبد الله بن ايبك ، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م.

٨. الذهبي، محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط،مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.

٩. سبط ابن الجوزي، ابو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥١م.

١٠. ابو شامة، شهاب الدين المقدسي (ت٦٦٥هـ) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحيقيق: محمد حلمي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة بلا ت.

١١. ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع (ت ٦٣٢هـ) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٦٤م.

١٢. العليمي، مجير الدين الحنبلي (ت٩٢٧هـ) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنديس، الخليل وعمان، ١٩٩٩م.

١٣. ابن كثير، ابو الفداء الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ) البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٧م

١٤. المقريزي، البو العباس احمد بن علي (ت٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦م.

١٥. ابن منقذ، ابو المظفر اسامة الشيزري ، الاعتبار، جامعة برنستون، الولايات المتحدة، ١٩٣٠م.

١٦. النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ)، نهاية الارب في فنون الادب، المؤسسة المصرية العامة، مصر، بلات.

١٧. وليم الصوري، تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحار، الموسوعة الشاملة، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٤م.

المراجع

١. احمد علي اسماعيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ١٩٨٣م

٢. ارنست باركر ، الحروب الصليبية، ١٩٦٧م

٣. ر سي سميل، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر، ترجمة محمد وليد، دمشق، دار طلاس،١٩٨٥م

٤. د سليمان الرومي، دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية، مكتبة الرشد، بيروت، ٢٠٠٧ م

٥.. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٦م

٦. ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة دكتور الباز العريني، ١٩٥٤م

٧. سهيل زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، بيروت، دار الفكر، بلات.

٨. شاكر مصطفى، في التاريخ الشامي، دار طلاس دمشق، ١٩٩٨م

٩. عبد الرحمن الانباري،الدعوة الى الاسلام، دار البشائر، بيروت، ١٤٠٩هـ

١٠. ابن العميد، اخبار الايوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ،بلا ت،

١١. يوسف غوانمة، التاريخ السياسي لشرق الاردن في عصر دولة المماليك الاولى

١٢. فابري، جولات ورحلات في فلسطين، الموسوعة الشاملة دار الفكر دمشق،٢٠٠٠م.

١٣. فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت، دار الثقافة، بلات.

١٤. قاسم عبدة قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م

١٥. كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية،تعريب احمد الشيخ، سينا للنشر، بلات.

١٦. ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م

١٧. محمد العمروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٥٤م

١٨. ول ديورانت،قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران.